التيبيكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الأديرة)
مصدراً لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية

د. محمد زايد عبد الله(*)

قائمة المختصرات المستخدمة في البحث

AJO: The American Journal of Otology, University of California, Los Angles, 1979 ff.

AOB: Archives of Oral Biology

BDI: Byzantine Defenders of Images: Eifgt Saints' Lives in English Translation, ed. A. M. Talbot, BSLT, Vol. 2, Washington, D.C. 1998.

BMFD: Byzantine Monastic Foundation Documents. A complete Translation of the Surviving Founders Typika and Testaments, ed. J. Thomas & A. C. Hero. 5 Vols., Washington, D.C., 2000.

Bsl: Byzantino-Slavica, Prague, 1929 ff.

Byz: Byzantion, Bruxelles, 1924 ff.

CSHB: Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae, Bonn, 1828- 1897.

DOC: Dumbarton Oaks Center, Washington, D.C.

DOP Dumbarton Oaks Papers, Washington, D.C, 1941 ff.

DOS Dumbarton Oaks Studies, Dumbarton Oaks Center, Washington, D.C.

HWB: Holy Women of Byzantium, Ten Saints Lives in English Translation, ed. A. M. Talbot, BSLT, Vol. 1, Washington D.C., 1996.

IRAIK: Izvestiia Russkago Archeologocheskago Instituta v Konstantinople.

(*) مدرس تاريخ العصور الوسطى –كلية الآداب – جامعة الفيوم

Isis: Publication of the History of Science Society, Chicago, 1912 ff.

JGero: Journal of Gerontology, The Gerontonlogical Society of America, Washington D.C., 1946 ff

JO: Journal of Otolaryngology, University of California, Los Angles, 1979 ff.

JVS: Journal of Vascular Surgery, The Society for Vascular Surgery and The American Association for Vascular Surgery, 1975 ff.

MBM: Miscellanea Byzantina Monacensia, Institut für Byzantinistik und neugriechische Philologie der Universität München, Munich.

NPNF: Nicene and Post- Nicene Fathers of the Christian Church, ed. Ph. Schaff & H. Wage, 7 Vols., New York, Oxford – New York – Toronto, 1991.

OSB: Oxford Studies in Byzantium, ed. J. Hiward-Johnston, Oxford University Press.

PG: Patrologia Graecae, Patrologiae Cursus completes, series graeca, ed. J. P. Migne, 161 Vols. In 166 pts, Paris, 1857 ff.

RÉB: Revue des Études Byzantines, Liverpool University Press.

World J. World Journal of Surgey, International Society of Surgery/ Société Internationale de Chirugie, New York, 1977 ff.

التيبيكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الأديرة) مصدراً لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية

التيبيكا Typikon البيزنطية هي وثائق تعبر عن القواعد واللوائح المنظمة للأديرة البيزنطية، وهي ثمينة في أغلب الأحيان؛ لأنها تحتوي على معلومات قيمة حول موضوعات مختلفة، كعلاقة الرهبان في الأديرة بالأباطرة والنبلاء الأرستقراطيين، والمؤسسات الخيرية التابعة للدير، وملكية الدير للأراضي والحيوانات والمباني، وأيضاً الطقوس الرهبانية، وطعام الرهبان وشرابهم، وأنواع الإضاءة المستعملة في ذلك الوقت، والملابس، والأحذية، ومواقيت الصيام، والاحتفالات بالأعياد.[1]

وقد بدأ الاهتمام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية منذ القرن السابع عشر الميلادي، ولكن العمل سار بطيئاً حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث صدر عدد من الترجمات إلى اللغات الحديثة لبعض الوثائق. وفي القرن العشرين قام عدد من الباحثين الفرنسيين على رأسهم لويس بيتي L. Petit[2] وبول جوتييه P.Gautier بترجمة عدد من تلك الوثائق إلى اللغة الفرنسية[3]، حتى قرر مركز الدمبارتون أوكس Dumnbarton Oaks Center – التابع لجامعة هارفارد – القيام بجمع وثائق الأديرة البيزنطية، فخرجت طبعة في خمسة مجلدات مترجمة إلى اللغة الإنجليزية عام 2000م، تحتوي على 61 وثيقة في 2021 صفحة.

(1) Talbot, A. M., "Typikon, Monastic", ODB, Vol. 3, P. 2132.
(2) Petit, L., "Le Monastére de Notre-Dame de Pitié en Macédoine", IRAIK, 6 (1900), PP. 1-153; "Typikon du monstére de la Kosmosotira prés d'Aenos 1152)",IRAIK, 13 (1908), PP. 17-75.
(3) Gautier, P., "Le typikon de Christ Sauveur Pantocrator", RÉB, 32 (1974), PP. 1-145; "Le diataix de Michel Attaliate", RÉB, 39 (1981), pp. 5-143; "Le Typikon de la Théotokos Évergétis', RÉB, 40 (1982), pp. 5-101; "Le Typikon du sébaste Grégoire Pakourianos", RÉB, 42 (1984), pp. 5-145; "Le typikon de la Théotokos Kécharitôméné", RB, 43 (1985), pp. 5-165.

وقد قام بتلك الترجمة أكثر من خمسة عشر متخصصاً في اللغة اليونانية الوسيطة.[1]

وقد قمت باختيار هذا الموضوع وهو: "التيبيكا البيزنطية (وثائق الأديرة) مصدراً لدراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية"؛ نظراً لأهمية الموضوع، ولوفرة المعلومات في بعض الجوانب، وتنوعها في تلك الوثائق، فعلى الرغم من وجود بعض الدراسات السابقة المعتمدة على وثائق التيبيكا البيزنطية، فإنها تحت منحى مختلفاً تماماً عما سنسلكه في تلك الدراسة، حيث اعتمدت في تناولها على النظام البيبليوجرافي، من خلال التعريف بها، ومن قام بتحريرها[2]، وليس بناءاً على الموضوعات، كما أهملت التطرق لبعض المستشفيات البيزنطية المهمة مثل: بانتوكراتور Pantokrator (المهيمن على الجميع)، وإيفيرجيتيس Evergetis (المحسنة)، ومشفى دير القديس يوحنا البشير St. John the forerunner بمنطقة فوبيروس Phoneros على الساحل الآسيوي، لمضيق البوسفور، ومشفى كوزموسوتيرا Kosmosoteira (منقذة العالم) البيزنطي، ويجب توضيح أننا لن نبحث موضوع الطب من كافة جوانبه، فقد تناوله الكثير من الباحثين السابقين، ولكننا سنركز على ما قدمته لنا أوراق التيبيكا من معلومات تفيد الباحثين في دراسة الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية على مر تاريخها، ولذلك سنركز على النقاط التالية:

- أنواع المستشفيات وأقسامها.
- الأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى.
- الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج.
- أدوات الجراحة والأدوية والصيدلة.

---

(1) Thomas. J. & Hero. A.C (eds.), Byzantine Monastic Foundation Documents, A complete Translatuin of the surviving Founders Typika and Testaments, Vol. 1, Washington, D.C., 2000, PP. 2-13.

(2) Volk, R., Gesundheitswesen und Wohlatogkeit im Spiegel der byzantinischen Klostertypika MBM, Vol. 28, Institut fur Miscellanea Byzantina Monacensia, Institut für Byzantinistik und neugriechische Philologie der Universität München, Munich, 1983; Miller, T. S., "Review: Gesundheitswesen und Wohlatogkeit im Spiegel der byzantinischen Klostertypika by Robert Volk", Isis, Vol.76, No. 3 (Sep., 1985), P.434

- التنظيم المالي للمستشفيات.
- الرعاية الصحية لكبار السن.
-

أنواع المستشفيات وأقسامها:

زخرت وثائق الأديرة البيزنطية بالكثير من المعلومات عن الطب البيزنطي في الفترة ما بين القرنين العاشر والخامس عشر الميلاديين، والتي اشتملت على حوالي سبعاً وعشرين وثيقة ديرية، تفاوتت المعلومات فيها ما بين قليلة في بعض الأحيان، وكثيرة مستفيضة في أحيان أخرى. وكانت رعاية الفقراء والمرضى واجباً ورثه البيزنطيون عن المسيحية[1]، فكان العلاج يتم بشكل كبير من خلال المؤسسات الخيرية الكبيرة التي أسست على أيدي الأغنياء الذين أمدوها بالهبات الكافية، وأوقفوا عليها بعض الأوقاف، أو نظموها تحت سيطرة الأديرة[2]، وذلك لما تمتعت به الأديرة البيزنطية من ثروات وأوقاف كثيرة[3]، ولم يألُ هؤلاء جهداً من أجل وضع عدد من الأسرة وموقد للتدفئة في دور الضيافة لخدمة المرضى والضعفاء، إذ سُمح للمرضى بالضيافة مدة ثلاثة أيام حتى يستردوا عافيتهم[4]، خاصة أثناء المجاعات وما يتبعها من الأمراض والأوبئة التي تنتشر بين سكان الريف بصفة خاصة؛ فتؤدي إلى وقوع كثير من الوفيات[1]. وسار على نفس النهج رجال الدين، خاصة الأساقفة[2]. كما أن الحكومة

---

(1) Miller, T. S., The Birth of the Hospital in the Byzantine Empire, The Johns Hopkins University Press, Baltimore and London, 2nd ed., 1997, P.61.
(2) Constantelos, D. J., Byzantine Philanthropy and Social Welfare, New Brunswick & New Jerseym 1968, P. 3.
(3) Ath. Typikon: Typikon of Athanasios the Athonite for tha Lavra Monastery, trans. George Dennis, BMFD, Vol.1, No.13, Ch.49, P.263; Pakourianos: Typikon of Gerogry Pakourianos for the Monastery of the Mother of God Petritzonitissa in Backovo, trans R.Jordan, BMFD, Vol. 2 No. 23, Ch. 20, P. 544; Roidion: Typikon of Nikon of the Black Mountain for the Monastery and Hospice of the Mother of God tou Roidiou, trans, R. Allison, BMFD, Vol.1, No. 21, Ch. (B) 15, P. 435.
(4) Pakourianos, Ch. 29, PP. 549-550.

(1) Georgius Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Ch. 38, PP. 908 – 909;

البيزنطية – المتمثلة في الأباطرة – قد أنشأت العديد من المستشفيات لمعالجة المرضى، خاصة الفقراء منهم[3]، كالإمبراطور ميخائيل الرابع البفلاجوني Michael IV the Paphlagonian (1034 – 1041م)[4]، والإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين Alexius I Comnenos (1081 – 1118م)[5].

وانقسمت المستشفيات في الإمبراطورية البيزنطية من حيث التخصص إلى مستشفيات عامة، ومستشفيات متخصصة، وهذه الأخيرة اشتملت على مستشفيات مرضى الجذام، وأخرى خاصة بالنساء[6]. وقد انقسمت هذه المستشفيات من حيث الحجم إلى مستشفيات صغيرة، ومستشفيات عامة كبيرة. فأما النوع الأول فقد تمثل في العديد من المستشفيات الصغيرة الملحقة بالأديرة، مثل مشفى دير إيفيرجيتيس بالقسطنطينية، والذي أُنشئ فيما بين عامي (1054 – 1070م)[7]، و مشفى دير القديس يوحنا البشير بمنطقة فوبيروس على الساحل الآسيوي لمضيق البوسفور.

والذي أنشئ عام [1]1113، ومشفى دير بيبايا إلبيس Bebaia Elpis (الأمل المؤكد) في القسطنطينية، والذي أنشئ فيما بين عامي (1327 – 1335م)[2]. كما أمر

Theophanes Continuatus, Chronographiam ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Lib. VI, Ch. 27, PP. 417 – 418; Symeon Magister, Annales, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Ch. 38, pp. 743 – 744; Skylitzes, J., Empereurs de Constantinople, trad. B. Flusin, Paris, 2003, 10, Ch. 22, pp. 189 – 190.

(2)Theodore Studitem Epistolae, PG, Vol. 99, ed. J. P. Migne, Paris, 1903, II, No. 94, Col. 1613; CF. Constanteros, Byzantine Philanthropy, P. 76.

(3) Miller, T. S., " The Byzantine Hospital", DOP, Vol, 38 (1984), P.62.

(4) Psellus, M., Chronographia, trans. E. R. Sewter, Yale University Press, New Haven, 1953, 4, Chs. 34 – 35, P. 73.

(5) أناكومنينا، الألكسياد، ترجمة/ د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004م، ك 15، ف 7، ص 615 – 616.

(6) Constantelos, Byzantine Philanthropy, P. 152.

(7) Evergetis, Typikon of Timothy for the Monastery of The Mother of God Evergetis, Trans R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 22, Chs. 38, 41, PP. 495, 497.

(1) PhoBeros: Rule of John for the Monastery of St. John the Froerunner of Phonberos, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 3, No. 30, Ch. 56, P. 937.

الإمبراطور إلكسيوس الأول كومنين الراهب كريسيتودولوس رئيس دير القديس يوحنا اللاهوتي Christodoulos of St. John the Treologian في جزيرة باتموس Patmos بإنشاء مشفى ملحق بالدير لعلاج الجرحى العاملين على السفن بموانئ الجزيرة[3]. كما أنشأت بعض الأديرة مضايفاً لاستضافة وعلاج المرضى من الفقراء والمسافرين والحجاج المتجهين إلى الأراضي المقدسة في فلسطين عبر الأراضي البيزنطية، والتي استضافت من المسافرين لمدة ثلاثة أيام[4].

وفي مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ترصد أرواق التيبيكا مشفاً آخر في القسطنطينية، وهو المشفى الملحق بدير ليبس Lips[5]. وكانت معظم تلك المستشفيات الصغيرة تتكون من صومعة لأحد الرهبان أو الراهبات لتكن بمثابة مشفاً لهم، بها عدد قليل من الأسرة[6]، كما عين على ذلك المشفى راهب أو اثنان من الرهبان كممرضين للسهر على

---

(2) Bebaia Elpis: Typikon of Theodora Synadene for the Convent of the mother of God Bebaia Elpis in Constantinople, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 4, No. 57, Ch.90, P. 1549.
Christodoulou: Rule, Testament and Codicil of Christodoulou for the Monastery of St. John the Theologian on Patmos, trans. P. Karlin - Hayter, BMFD, Vol. 2, No. 24. Ch. A25, P. 592.
وتقع جزيرة باتموس ضمن مجموعة جزر الدوديكانيز بالقرب من ساحل آسيا الصغرى أنظر،
Gregory, T. E. & Sevcenko, N. P., "PAtmos", ODB, Vol. 3, P. 1596.
(4) Attaleiates: Rule of Michael Attaleiates for his Almshoise in Rhiadestos and for the monastery of Christ Panoiktirmon in Conastantiople, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 1, No. 19, Ch. 20, PP. 343; Pakourianos Typikon ch. 29, P. 549; Roidion Typikon, Chs. (B) 2-(B) 3, P. 432; Machairas: Rule of Neilos, Boshop of Tamasia, for the monastery of the mother of God of Machairs in Cyprus, Trans. A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 34, Ch. 116, P. 1156.
(5) Lips: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Lips in Constantinople, trans. A. M. Talbot. BMFD, Vol. 3, No. 39, Ch. 50, P. 1281.
(6) Evergetis Typikon, Ch. 38, P. 495; Pakoutianos Typikon, Ch. 29, P. 549; Kecharitomene: Typikon of Empress Irene Doukaina Komnene for the convent of the Mother of God Kecharitomene in Constantinople, trans. R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 27, Ch. 44, P. 690.
اختلفت أعداد الأسرة من دير إلى آخر، فدير إيفيرحيتيس خصص ثمانية أسرة، أما دير فوبيروس فقد خصص أربعة أسرة، ودير بانتوكراتور بالقسطنطينية كان به ستة أسر، أما دير ليبس فقد خصص اثنا عشر سريراً للمرضى، وثلاثة أسرة للمرافقين. أنظر:

خدمة المرضى[1]، وبلغ حرص رئيس الدير على صحة مرضاه أن ألزم المرضى بالراحة التامة حتى تمام الشفاء[2]، كما أعد مكان لطهي الطعام الخاص بالمرضى[3]، وتم توفير كل سبل الطعام والشراب من الخبز الأبيض والنبيذ[4]، وكذلك مواقد التدفئة[5]، وكما زُود المرضى بالكساء والأغطية والأحذية التي تقيهم برد الشتاء[1]، أما المرضى من الرهبان طريحي الفراش

Evergetis Typikon, Ch. 41, P. 497; Phonveros Ruls, Ch. 56, P. 937; Pantokrator. Typikon of Emperor John II Komnenos for the monastery of Christ Pantokrator in Constantinople, trans, R. Jordan, BMFD, Vol. 2, No. 28, Ch. 10, P. 745; Lips Typikon, Ch. 50, P. 1281.

(1) Ath. Testament: Testament of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastery, Trans. G. Dennis, BMFD, Vol. 1, No. 14, Ch. 17, P. 278; Kellibara II: Typikon of Andronikos II Palaiologos for the Monastery of St. Demetrios - Kellibara in Constantinpole, trans. G. Dennis, BMFD, Vol. 4, No. 56, Ch: 5, P. 1509; CF. Charanis, P., " The Monak as an Element of Byzantine Society", DOP, Vol. 25 (1971), P. 82.

اختلفت أعداد المرضين من دير إلى آخر، فدير إيفيرجيتيس خصص راهبين كمرضين أما ديرفوبيروس فقد خصص راهب واحد، وخصص دير كوزموسوتيرا عشرة من الخدم لخدمة المرضى وطريحي الفراش، انظر

Evergetis Typikon, Ch. 41, P. 497; Phoberos Rule, Ch. 56, P. 937; Kosmosoteira; Typikon of the Sebastokrator Issac Komnenos for the monastery of The God Kosmosoteira near Bera, trans. N. P. Sevcenko, BMFD, Vol. 2, No. 29, Ch. 61, P. 826.

(2) Kecharitomene Typikon, Ch. 44, P. 690; Mamas: Typikon of Athanasios Philanthropenos for the Monastery of St. Mamas in Constantinople, trans. A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 32, Ch. 34, P. 1017; Heliou Bomon: Typikon of Nikephoros Mystikos for the monastery of the God ton Heliou Bomon or Elegmon, trans, A. Bandy, BMFD, Vol. 3, No. 33, Ch. 33, P. 1074; Athansios I: Rule of Patriarch Athansios I, trans. T. Miller, BMFD, Vol. 4, No. 55, Ch. 4, P. 1501

(3) Evergetis Typikon, Ch. 41, P. 497.

(4) Pantokrator Typikon, Ch. 10, P. 745; Mamas Typikon, Ch. 34, P. 1017; Heliou Bomon Typikon, Ch. 33, P. 1074, Meteora: Canonical Rule of Athanasios the Meteorite for the Monastery of The Transfiguration (Matamorphosis), trans, G. Dennis, BMFD, Vol. 4, No. 53, Ch. 3, P. 1460.

(5) Pakourianos Typikon, Ch. 29, P. 549.

(1) Evergetis Typikon, Ch. 38, P. 495; Phoberos Rule, Ch. 54, P. 936; Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P. 831; Lips Typikon, ch. 50, P. 1281.

الذين لا يقدرون على الذهاب إلى المشفى فتلقوا العلاج في صوامعهم[2]، خاصة النساء الأرستقراطيات اللائي دخلن الأديرة النسائية، واللائي كان لهن الحق في استقدام إحدى خدمهن السابقات لرعايتهن خاصة في فترة مرضهن[3]. ولكن بعض الأديرة أرسلت رهبانها إلى أقرب مستشفى للدير لتلقي العلاج، يرافقهم أحد الرهبان من ذوي النفوذ ليمكنهم من الحصول على بعض الأسرة في المستشفى[4]. كما تشير التيبيكا إلى أن رئيس الدير كان عليه استدعاء الطبيب يومياً لزيارة المرضى في المشفى[5]، وكان هؤلاء الأطباء العاملين في المستشفى الحكومية القريبة من الأديرة[6]، وقد خصصت لهم بعض الأديرة مرتباً شهرياً مقابل هذا العمل[7]، كما قام رئيس الدير بتوفير سرير للطبيب؛ نظراً لبقائه في المشفى في بعض الأحيان لمراعاة بعض الحالات شديدة المرض[8]. وكانت بعض الأديرة تقوم بتوفير بعض الأدوات مثل الأوعية والأباريق والصابون ومناشف الشعر والأيدي، بما يجعل ستة مرضى يغتسلون في نفس الوقت، بالإضافة إلى الأدوية اللازمة لعلاج المرضى مثل الدهانات والزيوت التي تُخون في غرفة المريض[9].

أما النوع الثاني فهو المستشفيات العامة الكبيرة، التي انقسمت بدورها إلى نوعين:

فمنها ما كان شاملاً لعدد من التخصصات، ومنها ما كان متخصصاً في علاج مرض

(2) Kellibara II Typikon, Ch. 5, PP. 1509; Bebaia Elpis Typikon, Ch. 90, P. 1549.
(3) Bebaia Elpis Typikon, Chs. 93 – 93, P. 1550.
(4) Mamas Typikon, Ch. 34 P. 1017; Heiou Bomon Typikon, Ch. 33, P. 1074.
(5) Evergetis Typikon, Ch. 41, P. 497; Lips Typikon, Ch. 35, P. 1275.
(6) Mamas Typikon, Ch. 34, P. 1017; Heliou Bomon Typikon, Ch. 33, P. 1074 Kecharitomene Typikon, Ch. 57, P. 696; Kellibara II Typikon, Ch. 5, PP. 1509; Charsianeites: Testament of Patriarch Mathhew I for The Monastery of Charisianeites Dedicated to the Mother of God Nea Perivleptos, trans. Alice – Mary Talbot, BMFD, Vol. 4, No. 60, Ch. B 4, PP. 1642 – 1643.
(7) Kosmosoteira Typikon, Ch. 61, P. 825.
(8) Pantokrator Typikon, Ch. 10, P. 745; Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P. 830.
(9) Panatakrator Typikon, Ch. 10, P. 745.

معين، وانتشرت تلك المستشفيات في الأراضي البيزنطية منذ القرن الرابع الميلادي على يد رجال الدين المسيحيين أو الأباطرة البيزنطيين، ومن الملاحظ أن المعلومات المصدرية في وثائق التيبيكا عن المستشفيات خلال الفترة السابقة على القرن العاشر الميلادي محدودة للغاية[1]، ولكنها وفيرة في الفترة التالية، فمثلاً تخبرنا أوراق التيبيكا أن الإمبراطور يوحنا الثاني كومنين John II Comnenos (1118 – 1143م) أنشأ

---

[1] تعتبر مستشفى القديس زوتيقوس St. Zotikos لمرضى الجذام أقدم المستشفيات الحكومية البيزنطية، ونموذجاً للمستشفيات المتخصصة في علاج مرض معين، وقد تأسست في عهد الإمبراطور قسطنطيوس (337 361 م) إحياء لذكرى القديس زوتيقوس الذي كان مهتماً بمرضى الجذم، انظر

Contantelos, Byzantine Philanthropy, PP. 165, 170.

وقد أعيد تجديد هذه المستشفى في عهد كل من الأمبراطور هرقل (610 – 641م) عام 624، والإمبراطور قسطنطين السابع (913 – 959م)، والإمبراطور يوحنا تزيميكيس (969 – 976م). أنظر،

Cedrenus, G., Historiarum Compendium, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, Tome, I, PP. 698 – 699; Leo the Deacon, The History of Leo the Deacon, Byazintine Military Expansion in the tenth century, trans. A. M. Talbot & D. E. Sullivan, DOC, Washington, D.C., 2005, 6, Ch. 5, P. 149; Theophanes Continuatus, Chronographiam VI, Ch. 18, P. 449.

كما وردت بعض الإشارات في المصادر التاريخية والجغرافية عن المستشفيات الشاملة لعدد من التخصصات مثل مستشفى باسيلياس عام Cappadocia في إقليم قبادوقية Basil Bishop of Caesarea التي أنشأها باسيل أسقف قيصرية Basileias 372م، لعلاج المرضى الفقراء من البيزنطيين. انظر،:

Sozomenus, Church History, Trans. Ch. D. Hartranft, NPNF, Vol. II, ed. Ph. Schaff & H. Wage, New York, Oxford & London, 1890, Bk. 6, Ch. 34, P. 371.

كذلك مستشفى سامبسون Sampson بالقسطنطينية، والتي بناها شخص بنفس الاسم في بداية القرن السادس الميلادي، ولكنها احترقت خلال ثورة النصر عام 532م، فجددها الإمبراطور جستنيان (527 – 565م). أنظر.

Procopius, Buildings, trans. G. Downey, in: The Loeb Classical Library, ed. E. H. Warmington, Vol. VII, Harvard University Press, Cambridge – Massachusetts, 1971, 1, Ch. 2, PP. 36 – 37; Gilles, P., Topography of Constantinople and it's Antiquities: A new translation with Commentary, trans. K. M. Byrd, Ph.D Dissertation, Graduate School – New Brunswick Rutgers, The state University of New Jersey, 2002, 2, Ch. 8. PP. 322 – 323

Thomas باسم الراهب توماس Antiochus بمدينة انطاكية Daphneوفي عام 542 بني جستنيان مسشفى في ضاحية دافني لتكون " منتجعاً للمرضى"، حسب رواية إيفاجريوس.

Evagruis Scholasticus, The Ecclesiastical History, trans. M. Whibty, TTH, Vol. 33, Liverpool University Press, 2000, 4, Ch. 35, P. 240

مستشفى بانتوكراتور بمدينة القسطنطينية في أكتوبر 1136م[1]، إذ خُصص جزء منها ليكون خاصاً بمرضى الجُذام، وأوقف عليها الإمبراطور الكثير من الأوقاف، كما كانت هناك مستشفى لعلاج مرضى الجُذام في نيقوسيا بجزيرة قبرص خلال القرن الثالث عشر الميلادي[2]. وكانت مستشفى دير بانتوكراتور بالقسطنطينية هو النموذج الأمثل للمستشفيات العامة التي تضم الكثير من التخصصات، فإذا ما نظرنا إلى تقسيم مستشفى بانتوكراتور يتضح لنا أنها كانت تتسع لخمسين مريضاً في الوقت نفسه، وبها حوالي 61 سريراً[3]، مقسمين على خمس عيادات متخصصة (عنابر):

- عشرة أسرة للجرحى ومن يعانون من الكسور.
- ثمانية أسرة أخرى لمرضى الرمد، والأمراض الباطنة الحادة والمزمنة.
- اثنا عشر سريراً لأمراض النساء.
- عشرون سريراً موزعين على قسمين لاستقبال حالات الأمراض العامة.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن كل قسم من الأقسام الخمسة السابقة احتوى على أكثر من سرير لحالات الطوارئ، خصص منها ستة أسرة أو أكثر لتوضع جانباً، وزودت بمرتبة مثقوبة من المنتصف لهؤلاء الذين لا يستطيعون التحرك من شدة آلامهم، وخطورة كسورهم وجروحهم، حتى يستطيعوا قضاء حاجاتهم دون الحاجة إلى النزول من السرير، وكانت تلك الأسرة تغطى بسجادة وبرية ومرتبة ووسادة وغطاء، ويزود كل سرير في الشتاء ببطانيتين مصنوعتين من شعر الماعز، ويتم تجديد تلك الأغطية بشكل دوري كل عام، خاصة المفارش والوسادات والبطاطين الممزقة التي يتم خياطتها مرة أخرى.[4]

وهنالك نموذج آخر للمستشفيات العامة التي تضم الكثير من التخصصات، وهو مشفى دير كوزموسوتيرا في إقليم التراقيسيان بآسيا الصغرى، والذي أنشأه إسحاق كومنين أحد أولاد الإمبراطور إلكسيوس الأول كومنين عام 1152م، فقد ضمت هذه المستشفى عنبراً واحداً خارج أسوار الدير، يضم حوالي ستة وثلاثين سريراً، مقسمين إلى صفين

(1) Pantokrator Typikon, Ch. 36, P. 767.
(2) Machairas Rule, Ch. 170, P. 1166.
(3) Constantelos, Byzantine Philanthropy, P. 174.
(4) Pantokrator Typikon, Chs. 36 – 37, P. 757.

متقابلين، وتشير تيبيكا كوزموسوتيرا أن الإقبال على تلك المستشفى كان كبيراً للغاية، حتى أنه لم يكن بها سريراً شاغراً أبداً، فما إن يخرج أحد المرضى بعد تماثله للشفاء حتى يحل محله أحد المرضى الجُدد في أقل من ساعة، وكان كل سرير يغطى بسجادتين من الصوف الكريتي (نسبة إلى جزيرة كريت) عوضاً عن المرتبة، وحصيراً من السمار، وبطانيتين صغيرتين من الصوف، وغطاء صوفي ثقيل بدلاً من الفراش، ووسادة من القماش مملوءة بالصوف. وكانت كل تلك الأغطية يتم تغييرها عند استقبال كل حالة جديدة، خاصة حالات الحوادث.[1]

وكانت المستشفيات العامة تتبع إجراءات خاصة لاستقبال المرضى لدى دخولهم، ومن تلك الإجراءات صرف ملابس خاصة بالمرضى، وهي عبارة عن قمصان ومعاطف يتسلمها المريض بعد دخوله المستشفى، في حين يقوم بتسليم ملابسه الخاصة إلى إدارة المستشفى، والتي تقوم بدورها بتنظيفها وغسلها[2]، ثم تحفظ للمريض حتى موعد خروجه، وقد أشارت تيبيكا بانتوكراتور إلى أن المستشفى قامت بتجديد الملابس التي تقدمها للمرضى بشكل دوري كل عام.[3]

(1) Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P. 830.
(2) Pantokrator Typikon, Ch. 52, P. 764.
(3) Ibid, Ch. 37, P. 757.

الأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى.

لقد أصبحت المستشفيات البيزنطية مؤسسات ذات شقين: تقديم الخدمة العلاجية، ومأوى لكثير من الذين لا مأوى لهم، يقوم على خدمتهم عدد من الأطباء والممرضين والممرضات والصيادلة[4]، وباء على ذلك تم توزيع الأطباء ومساعديهم والممرضين في مستشفى بانتوركراتور بناء على تقسيم المستشفى إلى خمسة أقسام، فاختص كل قسم بإشراف اثنين من رؤساء الأطباء، يساعدهم ثلاثة من الأطباء، واثنان من طلاب الطب تحت التدريب، واثنان من الممرضين، أما بالنسبة لقسم النساء فقد رافقت إحدى الطبيبات رؤساء الأطباء الذكور[1]، يساعدهم أربع طبيبات، واثنتان من طالبات الطب تحت التدريب، وممرضتان، هذا في أثناء الفترة الصباحية، أما الفترة المسائية فقد بقى بالمستشفى أربعة من الأطباء، وطبيبة لقسم النساء، وأطلق على هؤلاء مُلاحظون (نوبتجية)، بالإضافة إلى وجود أربعة من الأطباء الإضافيين في قسم الطوارئ، اثنين لأمراض الباطنة، واثنين من الجراحين، يساعدهم أربعة من الأطباء الممارسين، وأربعة من طلاب الطب، ومن الملاحظ أن هؤلاء الأربعة من أطباء الطوارئ انقسموا إلى فرقتين، كل فرقة تحتوي على اثنين من الأطباء تخدم لمدة شهر بالتناوب مع المجموعة الأخرى، كما أن الطبيبين الجراحين كانا يخدمان كلاً من أقسام الذكور والإناث على السواء، وقد أشرف على كل هؤلاء اثنان من كبار الأطباء، أطلق على كل منهما لقب بروتومينيتاي Protomenitai، بالإضافة إلى اثنين من الأطباء يشرفان على كل الأطباء في الأقسام الخمسة، أطلق على الواحد منهما برميكيريوس Primmikerios ووظيفته زيارة المرضى يومياً، والقيام بفحصهم بعناية وبدقة، وتقرير العلاج المناسب لكل شخص مريض، ومحاسبة العاملين بالمستشفى على أي إهمال قد يقع

---

(4) Miller, Byzantine Hospital, PP. 57 - 60.

(1) Pantokrator Typikon, Ch. 38, P. 757

ويرى الباحث اليوناني ديمتريوس كنستنتيلوس أن الطبيبة التي كانت ترافق الطبيبين في قسم النساء ما هي إلا قابلة درست الطب وحصلت على تدريب جيد على يد الأطباء، انظر،

Constantelos, Byzantine Philantropy, P 174.

منهم، كما يشرف البريميكيروس على الطعام المقدم إلى المرضى، وتحويل المرضى الجدد إلى الطبيب المختص لعلاجه.[2]

وبالإضافة إلى ما سبق كان هناك طبيبان إضافيان مهمتهما الذهاب إلى الدير لتوقيع الكشف على المرضى غير القادرين على الذهاب إلى المشفى، وقد خدم كل من هذين الطبيبين شهراً بالتعاقب[1]، وعلى ذلك فإن عدد الأطباء في مستشفى بانتوكراتور بلغ 46 ما بين رؤساء أطباء وأطباء، أما طلاب الطب تحت التدريب فقد بلغ عددهم 14 طالباً، كما بلغ عدد الممرضين والممرضات حوالي 10 أفراد [انظر جدول (1)]، وهذا يخالف ما قاله ديمتريوس كنستنتيلوس بأن عدد الأطباء في مستشفى بانتوكراتور بلغ 35 طبيبا[2].

النوع	رؤساء الأطباء		الأطباء		الممرضون	
	أقسام الذكور	قسم النساء	أقسام الذكور	قسم النساء	أقسام الذكور	قسم النساء
صباحاً	8 أطباء	– طبيبان – طبيبة	–12 طبيب –8 طلاب تحت التدريب	– 4 طبيبات –طالبتان تحت التدريب	8 ممرض	2 ممرضة
المجموع	11 طبيب		16 طبيب 10 طلاب طب		10 ممرض	
مساءاً	–		– أطباء	طبيبة	–	–
المجموع	–		5 أطباء			
طوارئ	– جراحان – طبيبان أمراض باطنة		– 4 أطباء – 4 طلاب تحت التدريب		–	–
المجموع	4		4 أطباء + 4طلاب طب			
خدمة المدير	–		طبيبان		–	–
المجموع			–			
المشرفون			–		–	–

(2) Pantokrator Typikon, Chs. 38 – 40, PP. 757 -758, Ch. 55, P. 765.

ويرى ديمتريوس كنستنيلوس أن وظيفة Protomentai أطلقت على الأطباء الذين كانوا يقررون قبول المرضى في المستشفى، انظر.

Constantelos, Byzantine Philantropy, P 174.

أما تيموثي ميلر فيرى أن البروتومينيتاي هو المسئول عن علاج أمراض العيون والأمراض المعوية. أما البريميكيريوس فهو المشرف على برنامج العلاج في المستشفى من خلال المرور مع مساعديه على المرضى، كما يراجع البريميكيروس على تشخيص أطباء الطوارئ في الحالات الخطرة، انظر:

Miller, the Birth of the Hospital, PP 15 – 16.

(1) Pantokrator Typikon, Ch. 40, P. 760

(2) Constantelos, Byzantine Philantropy, P. 174.

المجموع		-		
مجموع كلي	11+4+4=16 رؤساء أطباء	27 طبيب + 14 طالب طب	10 ممرضين	

جدول (1) يوضح توزيع رؤساء الأطباء والأطباء والممرضين على أقسام مستشفى بانتوكراتور.

وحسب الترتيب الهراركي فن الطبيبين الملقبين بالبروتومينيتيسين جاءا في أعلى الترتيب، يليهما الجراحان المشرفان على عنبر الجرحى ومن يعانون من الكسور، ثم الأربعة الأطباء المشرفون على قسمي الأمراض العامة، ويليهم أربعة أطباء من بينهم الطبيبان المشرفان على عنبر النساء، ثم يأتي بعد ذلك الطبيبان المخصصان لخدمة الدير، وفي أسفل هذا الترتيب يأتي الأطباء الأربعة العاملين في قسم الطوارئ، ثم بقية الأطباء وطلاب الطب[1].

ومن الملاحظ أن كل هؤلاء الأطباء ثم تقسيمهم إلى مجموعتين، كل مجموعة تخدم في المستشفى شهراً بالتناوب مع الأخرى، ونفس الأمر مع المشرفين (برميكيريوي) Primikerioi، فإن كل واحداً منهما خدم في المستشفى لمدة شهر[2].

ولم يُسمح للأطباء العاملين في مستشفى بانتوكراتور بالعمل خارج الدير، وزيارة بيوت العلمانيين، والحصول على أجر زيادة عما يحصل عليه الطبيب من المستشفى، كما حُرم عليهم حمل أدوات المستشفى خارجها[3].

وكانت أديرة النساء تستعين بالأطباء الذكور لعلاج الراهبات المريضات[4]، ربما لقلة أو عدم خبرة الطبيبات البيزنطيات آنذاك. مما دفع بعض الأديرة النسائية إلى تدريب الراهبات وحرصهن على متابعة الأطباء أثناء استدعائهم إلى الدير، حتى يمكنهمن عدم الاستعانة بهم في الحالات المتشابهة مستقبلاً[5].

---

(1) Miller, The Birth of The Hospital, PP. 15 – 16.
(2) Pantokrator Typikon, Chs. 39 – 40, P. 758.
(3) Ibid., Ch. 54, P. 765.
تلقى الأطباء في المدن الصغيرة والقرى أجرهم عيناً على شكل دواجن ولحوم وبازلاء ونبيذ وقمح وفواكه، كما قام بعض كبار ملاك الأراضي الزراعية بإحضار الأطباء لعلاج الفلاحين العاملين في أراضيهم، أنظر.
Maniatis, G. C., " The Personal Service Market in Byzantium ", Byz, Vol. 73, Fasc. 2 (2003), P. 29, Note. 12.
(4) Bebaia Eplis Typikon, Ch. 90, P. 1549.
(5) Ibid, Ch. 92, P. 1550.

كما اشترطت أديرة أخرى أن يكون الطبيب الذكر إما خصياً أو من كبار السن، حتى لا يقع في الخطيئة مع الراهبات[6].

وإلى جانب الأطباء والممرضين وُجد في مستشفى بانتوكراتور مدير المخازن الذي كان مسئولاً عن تخزين المواد اللازمة للمرضى من الطعام والأغطية والملابس والأدوات الطبية[1].

بالإضافة إلى ستة من الصيادلة ينقسمون إلى: رئيس الصيادلة، وثلاثة من الصيادلة المعتمدين، واثنين من الصيادلة المساعدين، بالإضافة إلى أربعة من طلاب الصيدلة تحت التدريب[2].

بالإضافة إلى ما سبق وُجد العديد من الوظائف الخدمية مثل: حارس البوابة، وخمس من النساء يقمن بغسل ملابس المرضى، والمسئول عن تسخين المياه، واثنان من الطهاة، وسائس خيول يعمل في طاحونة المستشفى ويقوم برعاية خيول الأطباء، ومتعهد توريد أطعمة ولوازم للمستشفى، واثنان من القسيسين لسماع اعترافات المرضى المشرفين على الموت، واثنان من الخبازين، وأربعة من الحانوتية، وقسيس لجنازات الموتى، وعامل مجاري، وعامل لطحن الغلال[3].

(6) Kecharitomene Typikon, Ch. 57, P. 696; CF. Ringrose, K. M., The Perfect Servant: Eunuchs and the social construction of gender in Byzantium, The University of Chicago Press, Chicago & London, 2003, PP. 83, 85, 111.
(1) Pantokrator Typikon, Ch. 41, P. 758.
(2) Ibid., Chs. 43, 52, PP. 759, 763.
(3) Ibid., Ch. 43, P. 759

الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج.

على الرغم من المعلومات الوفيرة التي حظيت بها تيبيكا الأديرة البيزنطية، فإنها لم تكن كذلك في أثناء الحديث عن الأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج اللازمة، ولكن يمكننا أن نستشف بعض الأمراض التي كانت منتشرة آنذاك من خلال عدد من المعطيات: فمثلاً يمكننا من خلال الرجوع إلى تقسيم مستشفى بانتوكراتور أن نتعرف على بعض الأمراض التي قُسمت على أساسها المستشفى، فهناك جزء خاص بمرضى الجُذام[4].

كما وُجد الجرحى ومن يعانون من الكسور، كذلك من يعانون من الأمراض الباطنة الحادة والمزمنة، بالإضافة إلى أمراض النساء، والأمراض العامة مثل الحمى وأوجاع الرأس[1]، وكذلك من يعانون من الرمد والمياه البيضاء[2]، كما يمكننا أن نتعرف على بعض الأمراض من قائمة الوظائف والمرتبات الخاصة بالأطباء والعاملين بالمستشفى، فمثلاً هناك الجراحين، مما يعني وجود بعض الجراحات الخاصة بالكسور والقطوع.

وكذلك أمراض الفتوق، خاصة الفتوق الأربية والدوالي[3]، وكذلك العمليات الجراحية الصغيرة مثل: الأكياس الدهنية والحجامة وفصد الدم[4].

---

(4) Ibid., Ch. 63, P. 767

(1) Ibid., Ch. 36, P.757

(2) Ibid., Ch. 36, P.757; CF. Lascratos, J. & Marketos, S., "Ophthalmological therapy in hospitals (Xenonse), In Byzantine; "Docementa Opthalmolofica, Vol. 77 (1991), PP. 377 – 378; Lascaratos, J., "Miraculous Ophthalmological therapies in Byzantium, " Docementa Opthalmolofica, Vol. 81(1992), P. 146.

(3) Pantokrator Typikon, Ch.52, PP. 762 – 764

وربما تكون تلك العمليات قد أجريت للعاملين والحرفيين الذي يقفون لساعات طويلة في أعمالهم، انظر:

Lascaratos, J., "Surgery on Varices in Byzantine times (324 – 1453 CE)'. JVS, Vol. 33, No. 1 (Jan. 2001), PP. 197 – 199; Idem. & als., " Surgery for Inguinal Hernia in Byzantine times (A.D. 324 – 1453): First Scientific Description', World J. Surg., Vol. 27 (2003), P. 1165.

(4) Pantokrator Typikon, Ch. 52, P. 764; CF. Bliquez, L. J., "Tow Lists if Greek Surgical Instruments and the State of Surgery in Byzantine times". DOP, Vol. 38 (1984), P. 190.

قد Lesbosوكان يوحنا كيناموس في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي قد ذكر أن أحد العامة المدعو توماس من ليسبوس عمل بحرفة الحجامة بمدينة القسطنطينية ليكسب نفقات معيشته انظر،:

كما يمكننا التعرف على بعض الأمراض من خلال الأدوات والأدوية التي كانت تُخزن في مخزن الدير، فمثلاً وجود مادة المسهل دليل على وجود الأمراض المعوية[5]. ووجود أداة كي حديدية ربما يعني قيام الأطباء بعلاج داء الكلب (السعار) عن طريق الكي، أو علاج بعض التقرحات الجلدية[1]، كذلك وجود الكثير من المباضع، خاصة مباضع خلع الأسنان[2]، لدليل وجود أمراض مثل أمراض تسوس الأسنان، إلى جانب أمراض الأنف والأذن والحنجرة[3]، كما أن وجود المباضع التي تستخدم في العمليات الجراحية الكبرى، إلى جانب القسطرة، وآلات الجراحة الأخرى، لهو دليل على إجراء العمليات الخاصة بأمراض الباطنة مثل عمليات المسالك البولية[4]. كذلك عمليات البتر التي كانت تُستخدم في بعض الأحيان حتى لا تنتشر العدوى في بقية أجزاء الجسم[5].

John Kinnamos, Deeds of John and Manuel Comnenus, trns. Ch. M. Brand, Columbia University Press, New York, 1976, 7, Ch. 2, P. 222

انظر أيضاً، كيناموس، أعمال يوحنا وماتويل كمنينوس، منشور ضمن : الموسوعة الشامية في الحروب الصليبية، ترجمة/ د. سهيل زكار، ج28، دمشق، 1997م، كتاب 7، ف2، ص283.

(5) Pantokrator Typikon, Ch. 51, P. 762.

(1) Ibid., Ch. 52, P. 764; CF. Theodorides, J., " Rabies in Byzantium Medicine', DOP, Vol. 38, (1984), P. 157.

(2) Pantokrator Typikon, Ch. 52, P. 764.

(3) Lascaratos, J. & Assimakopoulos, D., " From the Roots of Otology: Diseases of the Ear and Their Treatment in Byzantine Times (324 – 1453 A.D.), " AJO, Vol. 20 (1999), P. 398; Ramiutsaki, I. A., "Otolarynologic Diseases and Medical treatment during the Byzantine Period", JO, Vol. 29, No. 6 (2000), PP. 384 – 385.

وقد قام مجموعة من الباحثين الأثريين الأتراك بدراسة مهمة للغاية عن أسباب تسوس الأسنان لدى البيزنطيين خلال القرن الثالث عشر الميلادي بناء على نوعية الطعام، ووصلوا إلى نتيجة مفادها أن أكثر البيزنطيين تعرضاً للتسوس كانوا في الفئة العمرية ما بين 26 – 35 عاماً، وكان أكثرهم من الذين يغلب على طعامهم المواد السكرية، انظر

Caglar, E. & als., "Prevalence of dental caries and tooth wear in a Byzantine Populatiob (13th C. A.D.) from the northwest Turkey', AOB, Vol. 52 (2007) PP. 1136 – 1144.

(4) Pantokrator Typikon, Ch. 52, P. 764.

(5) Ath. Rule: Rule of Athanasios the Athonite for the Lavra Monastrey, trans. G. Dennis, BMFD, Vol. 1 No. 11, Ch. 19, P. 225

وإلى جانب الجراحة، ذكرت التيبيكا أن النظافة الشخصية كانت من وسائل العلاج الناجحة، والتي تمثلت في ضرورة ذهاب المرضى بمرافقة المساعدين والممرضين إلى حمام المستشفى، بل في بعض الأحيان كان المريض يُجبر على الذهاب إلى الحمام بناء على أمر الأطباء[6].

غير أن بعض الأديرة لم تكن تسمح باستحمام الرهبان إلا المرضى منهم[1]. ولكن البيزنطيون كانوا مهتمين غاية الاهتمام بالصحة العامة، وذلك تفادياً لانتشار الأمراض، وهذا ما ترصده بعض وثائق الأديرة البيزنطية، فتيبيكا كوزموسوتيرا ذكرت أن رئيس الدير كان عليه تدبر أمر توفير الماء من خلال الصهريج القريب من الدير، كما كان من الأمور الواجبة تطهير ذلك الصهريج، وتنظيف مراحيض الرهبان بالماء الوفير، خشية انتشار الأمراض من جراء انسداد فتحات المراحيض بالرواسب[2].

وبسبب وفرة المياه، كثرت الحمامات العامة بالعاصمة وغيرها من المدن البيزنطية[3]، كما قامت بعض الأديرة ببناء الحمامات العامة في المنطقة المحيطة بالدير، وتم جلب ماء النبع الخاص بالدير سواء كان نهراً أو بئراً إلى تلك الحمامات، حيث رأى الرهبان ضرورة الاهتمام بتلك المنشآت الإنسانية التي تخدم الطبقة الفقيرة المفتقدة للحمامات الخاصة في منازلها[4]، فبين عامي (1292 – 1294م) قامت الأميرة ثيودورا باليولوجينا Theodora Palaiologina بوقف قطعتين من الأرض في حي غلاطية بالعاصمة القسطنطينية لعمل

(6) Pantokrator Typikon, Ch. 46, P. 760 Kecharitomene Typikon, Ch. 58, P. 696; Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P. 831; Kellibara II Typikon, Ch. 5, P. 1509, Bebaia Elpis Typikon, Ch. 90, Pp .1549 – 1550; Lips Typikon, Ch. 34, P. 1275.

(1) Evergetis Typikon, Ch. 28, P. 491; Neophytos: Testamentary Rule of NeoPhytos for the Hermitage of the Holy Cross near Ktima In Cuprus, trans. C. Galatariotou, BMFD, Vol. 4, No. 45, Ch. 23 (C9), P. 1364.

(2) Kosmosoteira Typikon, Ch. 113, P. 847.

(3) كانت أشهر الحمامات العامة في العاصمة حمام زيوكسيبوس في شرق القسطنطينية وحمام قسطنطين، الذي أنشأه الإمبراطور قسطنطين الأول، وحُملت المياه إليه عن طريق قناة المياه المحمولة على قنطرة فالنز، انظر

Golles, Topography of Constantinople, BK. 2, Ch. 7, P. 279, BK. 3, Ch. 9, PP. 415 – 416.

(4) Kecharitomene Typikon, Ch. 79, P. 707; Kosmosoteira Typikon, Ch. 113, P. 847

حمامين للعامة البيزنطيين تتراوح مساحتهما ما بين 10 – 30 موديوس (2 – 6 أفدنة)[5] ، ويشهد العدد الكبير للحمامات العامة – والتي شيد أغلبها في القسطنطينية ومدن الأقاليم – على حب البيزنطيين المدنيين الشديد للنظافة، أما رجال الدين فقد نادوا بالزهد والتقشف، واعتبر الامتناع عن الاستحمام سلوكاً ممدوحاً بين رجال الدين، فلم تبن بعض الأديرة حمامات خاصة بها[1]، بينما قام البعض الآخر ببناء بعض الحمامات التي ألحقت بالأديرة [2]، ومن الملاحظ أن البيزنطيين كانوا يذهبون إلى الحمامات العامة ثلاث مرات أسبوعياً[3]، ليستمتعوا بغسل أجسادهم بالماء الساخن، وخاصة المرضى الذين رغبوا في إزالة الأدران عن أجسادهم[4]، أما النساء فكان يُسمح لهن في بعض المناطق بدخول الحمامات

(5) Anargytoi: Typikon of Theodora Palaiologina for the Convent of Sts. Kosmas and Damian on Constantinople, trnas. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 3, No. 40, Ch. 4, P. 1292.

والموديوس وحدة وزن ومساحة، والموديوس البيزنطي = 40 رطل من القمح، أما موديوس المساحة = 888.73 متر مربع = 5 قراريط انظر،

Schilbach, E & Kazhdan, A., "Modios", ODB, Vol. 2, P. 1338.

(1) Mamas Typikon, ch. 28, P. 1014; Helliou Bomon Typikon, Ch. 28, P. 1071.

(2) Evergetis Typikon, Ch. 25, P. 491; Phoberos Rule, Ch. 46 P. 925

قامت بعض الأديرة ببناء حمامات خارج الدير؛ ليستخدمها العامة من الناس مقابل ما تتلقاه من نذور من المرتادين للحمامات، انظر

Kosmosoteira Typikon, Ch. 113, P. 847.

(3) Kosmosoteira Typikon, Ch. 97, P. 841.

كان دير ليبس للنساء بالقسطنطينية لا يسمح لراهباته بالاستحمام أكثر من أربع مرات سنوياًن ولكنه لم يحدد عدد مرات الاستحمام المسموح بها لمرضاه، وربطها برأي الطبيب المعالج فهؤلاء المريضات، انظر:

Lips Typikon, Ch. 34, P. 1275.

(4) Evergetis Typikon, Ch. 28, P. 491; Phoberos Rule, Ch. 46, P. 925; Pantokrator Typikon, Ch. 46, P. 760; Kosmosoteira Typikon, Ch. 97, P. 841; Menoikeion: Typikon of Joachim Metropolitan of Zichna, for the Monastery of St. John the Forerunner on Mount Menoikeion near Serres, trans. T. S. Millerm BMFD, Vol. 4, No. 58, Ch. 15, P. 1601.

العامة في ساعات معينة من اليوم[5]، وفي مناطق أخرى حدد لهن يوما الأربعاء والجمعة من كل أسبوع[6].

وإلى جانب العلاج بالجراحة والعلاج بالنظافة الشخصية، استخدم العلاج الروحي، حيث كان المريض يذهب إلى الكنيسة الملحقة بالمستشفى للصلاة والابتهال إلى ربه[1]، ففي دير بانتوكراتور وُجدت كنيستان، إحداهما للرجال، والأخرى للنساء، ذهب إليهما المرضى أربع مرات أسبوعياً في أيام الأربعاء والجمعة والسبت والأحد، إلى جانب أيام الأعياد، والاحتفال بإحياء ذكرى الموتى من المرضى[2].

كما لجاء البيزنطيون إلى زيارة أضرحة القديسين للاستشفاء، خاصة ضريح القديسين كوزما ودميان بالقسطنطينية عوضاً عن العلاج على يد الأطباء[3]، حيث غلب على البيزنطيين في ذلك العصر شيء من الروحانيات المقترنة ببعض الخرافات، وشاع بينهم الاعتقاد بأن القديسين يمكنهم شفاء المرضى[4]؛ ربما لعدم قدرة بعض المرضى على تحمل تكاليف العلاج لدى الأطباء، أو تفضيل المريض التداوي على يد القديس بدلاً من الطبيب[5]. أو فشل الأطباء في علاج المرضى[6]، ونتيجة لذلك انزوى دور الأطباء إلى الظل في بعض الفترات[7].

---

(5) Life of Sts. David, Symeon, and Gregort of Lesbos, trans. D. D. Foraste, BDI, Ch. 3, P. 153.

(6) Life of St Theodora of Thessalnike, trans. A. M. Talbot, HWB; P. 235; Kosmosoteira Typikon, ch. 97, P. 841.

وكان النساء يذهبن إلى الحمامات العامة وهن يحملن معهن أوعية الاستحمام مثل الأباريق، انظر، كلاري (روبرت)، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمة / د. حسن حبشي، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1964م، ف165، ص123؛ ف207، ص139.

(1) Pakourianos Typikon, Ch. 28, P. 549.

(2) Pantokrator Typikon, Ch. 51, P. 762.

(3) Procopius, Building, I.vi, P. 63; Lascaratos, Miraculuos Ophthalmological therapies, P. 146.

(4) Talbot, A. M., "Pilgrimage to Healing Shrines: The Evidence of Miracle Accounts', DOP, Vol. 56 (2002),PP. 155, 159, 162; Foss, C., "Pilgrimage in Medieval Asia Minor", DOP, Vol. 56 (2002), PP141–142.

(5) Rosenqvist, J. O., "Miracles and Medical Learning, The case of St. Eugenios of Trebizond", Bsl, Vol. 56, No. 1 (1995), PP. 461, 464; Maniatis, Personal Services Market, PP. 26 – 27.

(6) George Akropolites, The History, trans. R. Macrides, OSB, Oxford University Press, 2007, Chs. 52, 74, PP. 270, 335.

أدوات الجراحة والأدوية والصيدلة

أكدت التبييكا على ضرورة توفير المواد اللازمة والأدوات الخاصة بالمرضى[1]، فكان على رئيس الدير توفير كافة الأدوات الطبية في مخازن الدير[2]، أما على صعيد الأدوات الجراحية فقد كان هناك مجمرتين من النحاس، واحدة في غرفة الجراحة، وأخرى متشابهة لها في قسم النساء، واللتان زودتا بالفحم[3]، ربما استخدمتا في عمليات كي الجروح. بالإضافة إلى هذا كان هناك شاحذ الموسى الذي يقوم بتطهير الآلات الطبية في المستشفى، والتي تستعمل في العمليات الجراحية، حيث كان لابد من توفير جميع أنواع المباضع في مخزن المستشفى، بالإضافة إلى أدوات الكي الحديدية، والقسطرة، ومبضع لخلع الأسنان، وأدوات لعلاج أمراض الباطنة وأمراض الرأس، وأوعية غسيل نحاسية وأباريق، يُخصص لكل قسم من أقسام المستشفى واحداً منها، وللأطباء أيضاً لغسل أيديهم بعد الانتهاء من العمليات الجراحية، مما يقلل انتشار الأمراض بين المرضى والأطباء على السواء[4].

وقد أوصت وثائق الأديرة بضرورة تناول المرضى للأدوية حتى يتم الشفاء[5]، ولذلك خُصصت خلية في الأديرة لتخزين الدواء والأدوات الطبية[6]، فاستخدم المسهل لعلاج أمراض الأمعاء[7].

---

(7) Kazhdan A., "The Image of the Medical Doctor in Byzantine Literature of the tenth to Twefth Centuries", DOP, Vol. 38, (1984), P. 45.

وعن المعتقدات الشعبية البيزنطية حول دور القديسين في الشفاء، وعجز الطب التقليدي في مواجهة العلاج المقدس، والصورة السلبية عن الأطباء في سير القديسين والقديسات، خاصة طمع الأطباء وابتزازهم المرضى مقابل العلاج المجاني للقديسين، انظر، عبد العزيز رمضان، " البيزنطيون بين علاج الأطباء ومعجزات القديسين: دراسة في ضوء هيجوجرافيا العصر البيزنطي الباكر"، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، مج 5، 2006 -2007م، ص 48 – 63، محمد زايد عبد الله، طبقة العامة في الإمبراطورية البيزنطية خلال العصر البيزنطي الأوسط (من القرن التاسع وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي)، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب الفيوم 2010م، ص 244 – 251 .

(1) Pantokrator Typikon, Ch. 51, P. 745.

(2) Ibid., Ch. 52, P. 764.

وجدت مجموعة من أدوات الجراحة البيزنطية في مدينة كورنثه، وهي عبارة عن ملاقيط بأيدي خشبية، ومسبر حاد في إحدى جوانبه، ومبضع، وأدوات برونزية تشبه السكين. أنظر.

Bliquez, Greek Surgical Instruments, P. 188.

(3) Pantokrator Typikon, Ch. 51, P. 762.

(4) Ibid., Ch. 52, P. 764.

(5) Kellibara II Typikon, Ch. 5, P. 1509; Benaia Elpis Typikon, Ch. 90, P. 1550.

(6) Kecharitomene Typikon, Ch. 57, P. 696.

كما استخدم الماء الساخن المضاف إليه بعض الكمون أو الشمر لعلاج انتفاخ البطن، وطرد الغازات من المعدة، خاصة وأن الماء البارد يُضعف المعدة[1].

وتبعاً لما ورد في وثائق الأديرة فإن الصيادلة كانوا يجمعون الأعشاب الطبية من الجبال والبراري في شهر مايو من كل عام[2]، حيث استخدموا زيت الزيتون في أغراض تحضير المراهم والدهانات والحقن الشرجية، كما استخدموا العسل وماء الورد وعصير العنب الحامض الممزوج بالعسل في صناعة الأدوية[3]. بالإضافة إلى اللبان ونبات المر والبخور والصمغ والبيض والنشا لصناعة بعض الأدوية الطبية الأخرى[4]. كما أُستخدم الشعير لعمل شراب الشعير المفيد لأمراض الباطنة، وكذلك استخدمت نشارة الخشب ونخالة الدقيق والقماش في عمل الكمادات[5]. وكان العديد من المرضى وخاصة في المناطق النائية يتلقون العلاج على يد أقاربهم ممن لديهم معرفة بالعلاج بالصلصال والدهانات والشربة، نظراً لعدم وجود أطباء في تلك المناطق[6].

---

(7) Pantokrator Typikon, Ch. 51, P. 762.

ذكر أحد المصادر التاريخية أن مادة εφολβιον أو ευφορβιον التي استخدمت كمسهل في بعض الأحيان، استخدمت أيضاً كمخدر للجروح في أحيان أخرى، أنظر

George Akropolites, The History, Ch. 52, P. 270.

(1) Blemmydes: Typikon of Nikephoros Blemmydes for the Monastery of The Lord Christ - Who – Is at Ematha near Ephesos, trans. J. Mintiz, BMFD, Vol. 3, No. 36, Ch. 11, P. 1204.

(2) Pantokrator Typikon, Ch. 52, P. 762.

كانت أكثر المناطق التي تنبت فيها النباتات العطرية في الإمبراطورية البيزنطية المنطقة الجبلية المطلة على ساحل البحر المتوسط بآسيا الصغرى. الإدريسي، نزهة المشتاق، في اختراق الأفاق، القاهرة. د.ت، مج2، ص806.

ولقد نمى في تلك الجبال نباتات اللبلاب الذي أُستخدم كدواء مُسهل، وأمكن حصر ما يقرب من 450 نوع من النباتات المختلفة التي استخدمت في الصناعات الدوائية في الدولة البيزنطية، انظر،

Stannard, J., " Aspects of Byzantine Materia Medica", DOP, Vol. 38 (1984), P. 209, Scarborough, J., "Herbs of the Field and Herbs of the Garden in Byzantine Medicinal Pharmacy", in: A. Littlewood & al. (eds.), Byzantine Garden Culture, DOS, Washington, D.C, 2002, P. 178.

(3) Pantokrator Typikon, Ch. 49, Pp. 760 – 761.

(4) Ibid., Ch. 52, P. 764.

(5) Ibid., Ch. 50, PP. 761 – 762.

(6) Maniatis, Personal Services Market, P. 27.

التنظيم المالي للمستشفيات

كانت الإدارة المالية للمستشفيات إما منفصلة[1]، أو ملحقة بميزانية الدير، ففي مستشفى بانتوكراتور كانت الإدارة المالية تقع في يد رئيس المخازن، الذي كان مسئولا عن توفير كل ما تحتاجه المستشفى من أدوات ومواد تخص المرضى والأطباء ومساعديهم، فكان عليه أن يوفر الخبز والطعام الذي يُوزع يومياً على المرضى في المستشفى. كما كان عليه توفير زيت الزيتون لاستخدامه في أغراض الإنارة، أو تحضير المراهم والدهانات، بالإضافة إلى مصابيح الإنارة الموزعة على أقسام المستشفى، وفي المراحيض، وفي استراحة الأطباء. وكان على رئيس المخازن توفير المواد اللازمة لصناعة الأدوية: مثل: العسل وماء الورد وعصير العنب وعصير الرمان والخل والسكر والدقيق، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الحطب المستخدم في صناعة الأدوية والعصائر وطبخ الطعام، إلى جانب توفير المال اللازم في بداية فصل الربيع لشراء الإمدادات الطبية والأدوية والدهانات[2].

وكان على مدير المستشفى أن يتلقى سنوياً من المشرف على مخازن الدير الزيت والخل المُستخدم في عمل الحقن الشرجية والدهانات، إلى جانب حصوله على مبلغ من المال لشراء بعض المواد الأخرى المستخدمة في صناعة الأدوية وبعض الأدوات الخاصة بعلاج المرضى[3].

وأوقفت الأميرة ثيودورا باليولوجينا في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي على دير ليبس للنساء بالقسطنطينية عدة أوقاف للإنفاق على المشفى التابع للدير، وبلغت جملة هذه الأوقاف السنوية 600 نوميزماتا Nomismata (النوميزما = 4.55 جرام دهب)، تم توزيعها على دخل قريتين: 292 نوميزماتا من قرية نيمفاي Nymphai على مقربة من القسطنطينية، و 308 نوميزماتا من قرية سكوتينون Skoteinon بالقرب من حدود مقدونيا[4]، وتم توزيع هذه المبالغ على نفقات مشفى الدير التي شملت:

---

(1) Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P. 830
(2) Pantokrator Typikon, Ch. 49, PP. 760 – 761.
(3) Ibid., Chs. 50, 52, PP. 761 – 762, 764.
(4) Lips Typikon, Ch. 46, PP. 1279 – 1280.

النوميزما كلمة تعني بصفة عامة العملة، وقد استخدمت كمقياس للعملة الذهبية التي تساوي 24 قيراط، وهو ما يساوي الصوليدي ، بمعنى النقي، انظر Hyperpyron اللاتيني، ومنذ القرن 11م أخذت مسمى جديد وهو الهيبربيرون

دقيق القمح، والنبيذ، والطعام، وأخشاب التدفئة، والزيت، والملح، وزيت بذرة الكتان، والشعير وعصيره[1].

أما بالنسبة للطعام المقدم إلى المرضى، فقد خصص دير بانتوكراتور مخبزاً خاصاً بالمستشفى، ملحق به طاحونة لطحن الغلال[2]، وكان على رئيس الدير أن يوفر الطعام الصحي للمرضى[3]، الذي قُدم إليهم في أسرتهم[4]، ففي دير كوزموسوتيرا كان الطعام عبارة عن وجبتين يومياً، تحتوي الوجبة على رغيف من الخبز يزن حوالي 130 جرام، بالإضافة إلى جرعة من النبيذ[5]. وفي دير القديس ماماس، ونظراً لذهاب رهبانه إلى المستشفيات المجاورة للدير. فقد أمد الدير مرضاه بالطعام اللازم حتى لا تتأثر صحتهم من قلة الطعام في بعض المستشفيات[6].

أما دير بانتوكراتور فإن الخمسين مريضاً والأطباء مع الممرضين والممرضات في الفترة المسائية تلقي كل منهم رغيفاً من الخبز يزن حوالي 85 جرام، بالإضافة إلى الخضروات وزيت الزيتون[7]. وفيما يلي حصر لأجور الأطباء ومساعديهم والممرضين والوظائف الخدمية الأخرى كما ذكرتها تيبيكا بانتوكراتور[8]:

Greirson, Ph., "Nomsima", ODB. Vol. 2, P. 1490.

(1) Lips Typikon, Ch. 50, P. 1281.
(2) Pantokrator Typikon, Ch. 45, P. 760.
(3) Evergetis Typikon, Ch. 27, P. 491; Kellibara II Typikon, Ch. 5, P. 1509; Bebaia Elpis Typikon, Ch. 90, P. 1549.
(4) Areia: Memorandum and Typikon of Leo, Bishop of Naupila, for the Monastery of the Mother of The God in Areia, trans. A. M. Talbot, BMFD, Vol. 3, No. 31, Ch. (T.3), P. 965
(5) Kosmosoteira Typikon, Ch. 70, P.830
(6) Mamas Typikon. Ch. 34, P. 1017; Heliou Bomon Typikon, Ch. 33, P. 1074.
(7) Pantokrator Typikon, Ch. 45, PP. 759 – 760.
(8) Ibid., Ch. 52, PP. 762 – 764.

عدد	النـــوع	الأجر النقدي لكل شخص	المخصص السنـــوي				المخصص الشهري لكل فـرد	المجموع الشهـــري	مجموع ما يتقاضاه الفرد سنويا
			المجموع	الأجـــر العيني					
				القمح للفرد	المجموع السنوي	الشعير للفرد	النبيذ للفرد		
٢	بريمبيتيريوس	٨ نوميزماتا	١٦ نوميزماتا	٤٥ مُدويس	٩٠ مُدويس	-	-	-	١١,٧٥ نوميزماتا
٢	بروتوسبنيتيس	* ٨	* ١٦	* ٢٨	* ٧٤	-	-	٤٨/١ نوميزما	٠,٠٤ نوميزما
٢	رؤساء الجراحة	* ٨	* ١٦	* ٢٨	* ٧٤	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٢٠
٤	جرّاح	* ٦,٨٣	* ٢٧,٣٢	* ٣١	* ١٤٤	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٤٠
٢	أطباء	* ٤,٢٥	* ٨,٥٠	* ٣٠	* ٦٠	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٢٠
٢	أطباء ممارسين	* ٤,٢٥	* ١٧	* ٣٠	* ١٢٠	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٤٠
٢	جرّاح الطوارىء								
١	طبيبة نساء	* ٣	* ٣	* ٢١	* ٢١	-	-	* ٠,١٠	* ٠,١٠
١	جـرّاح للفتـوق الأربية	* ٣,١٦	* ٣,١٦	* ٣٠	* ٣٠	-	-	-	-
٢	طبيب مساعد	* ٣,١٦	* ٦,٣٢	* ٢٨	* ٥٦	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٢٠
١٦	طبيب معلّم	* ٢,٦٦	* ٥٣,٢٠	* ٢٤	* ٤٨٠	-	-	* ٠,١٠	* ٢
٤	طبيبك								
٨	طلاب (طالبات) تحت التدريب	* ٢,٠٨	* ١٦,٦٤	* ٢٠	* ١٦٠	-	-	* ٠,١٠	* ٠,٨٠

٨	معرضون	٤,٢٥ ج	٤٦,٧٥ ج	٣٠ ج	٣٣٠ ج	-	-	-	٠,٠٨ ج	٠,٨٨ ج
٣	معرضات									٧,٧١ ج
١	مدير المخازن	٨,٦٦ ج	٨,٦٦ ج	٥٠ ج	٥٠ ج	٦٠ مدبوس	-	-	٠,١٠ ج	٠,١٠ ج
										١٩,٠٢ ج
١	المراقب (المشرف على قبو التبيذ)	٤,٣٣ ج	٤,٣٣ ج	٣٩ ج	٣٩ ج	- ١	-	-	-	-
										٧,٣٣ ج
١	رئيس الصيادلة	٣,٤٩ ج	٣,٤٩ ج	-	-	-	-	-	٠,١٠ ج	٠,١٠ ج
										٤,٦٩ ج
٣	صيادلة معتمدون	٣,٤٩ ج	١٠,٤٧ ج	٢٤ ج	٧٢ ج	-	-	-	-	-
										٥,٤٩ ج
٢	صيادلة مساعدون	٢,٥٨ ج	٥,١٦ ج	٢٠ ج	٤٠ ج	-	-	-	-	-
										٤,٢٤ ج
٤	طلاب صيادلة تحت التدريب	٢,٥٨ ج	١٠,٣٢ ج	٢٠ ج	٨٠ ج	-	-	-	٠,١٠ ج	٠,٤٠ ج
										٥,٤٤ ج
٢	قارىء	٣ ج	٦ ج	١٢ ج	٢٤ ج	-	٩ جرات	٤ ج	٨ ج	٥٤,٢٥ ج ؟
١	بواب	٣ ج	٣ ج	٢٤ ج	٢٤ ج	-	-	٠,٠٨ ج	٠,٠٨ ج	٥,٩٦ ج
١	عامل تسخين الماء	٣,٢٥ ج	٣,٢٥ ج	٣٠ ج	٣٠ ج	-	-	٠,٠٨ ج	٠,٠٨ ج	٦,٧١ ج
٢	طباخ	٣ ج	٩ ج	٣٠ ج	٩٠ ج	-	-	٠,٠٨ ج	٠,٢٤ ج	
١	مدهد توريد الطعام									٦,٤٦ ج

٥	نسماء لغسل الملابس	١,٥ ˚	٧,٥٠ ˚	١٢ ˚	٦٠ ˚	-	-	٤ ˚	٢٠ ˚	٥٠,٥٠ ˚
١	قس الجنائز	٣ ˚	٣ ˚	٢٠ ˚	٢٠ ˚	-	-	١,٠٨ ˚	١,٠٨ ˚	٥,١٢ "
٤	حانوتي	٢ ˚	٨ ˚	١٢ ˚	٤٨ ˚	-	-	-	-	٣ "
١	حارس البوابة	٢,٤١ ˚	٢,٤١ ˚	١٥ ˚	١٥ ˚	-	-	-	-	٣,٧١ "
٢	خباز	٥ ˚	١٠ ˚	٣٠ ˚	٦٠ ˚	-	-	-	-	٧,٥٠ "
١	سلس خيول	٤ ˚	٤ ˚	٢٤ ˚	٢٤ ˚	-	-	-	-	٦ "
١	طحان	٢ ˚	٢ ˚	١٦ ˚	١٦ ˚	-	-	-	-	٢,٢٢ "
١	منظف البقوعات	٢,١٦ ˚	٢,١٦ ˚	١٥ ˚	١٥ ˚	-	-	-	-	٣,٤١ "
١	شاحذ المُوسَى	١,٥ ˚	١,٥ ˚	١٢ ˚	١٢ ˚	-	-	-	-	٢,٥ "
١	صفار النحاس	٢ ˚	٢ ˚	٢٠ ˚	٢٠ ˚	-	-	-	-	٣,١١ "
المجموع ١١ موظف		٣٢٦,٧١ نوميزماتا		٢٣٨٠ مُديوس (١٢ مُديوس = نوميزما) ١٩٨,٣٣ نوميزماتا		٦٠ مُديوس = ٥ نوميزماتا	١٨ جرة = ١,٥ نوميزماتا	٤١١,٣٦ = ١٢ × ٣٤,٢٨ نوميزماتا		
المجموع الكلي		٣٢٦,٧١ + ١٩٨,٣٣ + ٥ + ١,٥٠ + ٤١١,٣٦ = ٩٥٥,٩٥ نوميزماتا = ١٣,٢٧ رطل ذهب								

جدول (2): أجور العاملين في مشفى دير بانتوكراتور بالقسطنطينية . القرن 12 م.

أما أجور الأطباء والصيدلة في دير ليبس بالعاصمة القسطنطينية في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي فقد كان كالتالي[1]:

العدد	النوع	أجر الفرد	المجموع
3	رؤساء الأطباء	16 نوميزماتا	48 نوميزماتا
1	طبيب	12 ً	12 ً
1	ممرضة	14 ً	14 ً
1	رئيس الصيادلة	12 ً	12 ً
6	صيدلي	10 ً	60 ً
2	صيدلي تحت التدريب	6 ً	12 ً
1	فاصد الدماء	4 ً	4 ً
3	خادم	10 ً	30 ً
1	طباخ	5 ً	10 ً
1	غسالة		5 ً
المجموع	10 موظف	207 توميزماتا	

جدول (3) أجور العاملين في مستشفى دير ليبس بالقسطنطينية، القرن 14م.

ومن الملاحظ أن هناك اختلاف بين الجدولين السابقين: فإذا كان مدير المخازن هو من يحصل على أغلى الأجور من بين موظفي مستشفى بانتوكراتور، حيث تقاضى حوالي 19.02 نوميزاماتا سنويا، يليه رؤساء الجراحة 12.36 نوميزماتا، ثم البريميكيريوس 11.75 نوميزماتا، ثم البروتومينيتيس 11.41 نوميزماتا، فإن أعلى الأجور في مستشفى ليبس كان من نصيب رؤساء الأطباء 16 نوميزماتا، ثم الممرضين 14 نوميزماتا، ثم الأطباء ورئيس الصيادلة، وتقاضى كل منهم 12 نوميزماتا، ولكن هناك أمرين مهمين في جدول (2):

- أولهما أن القارئ تقاضى حوالي 54.25 نوميزماتا، وكل واحدة من النسوة اللائي عملن في غسل ملابس المرضى تلقت 50.5 نوميزماتا سنوياً، وهو أمر محير للغاية

(1) Lips Typikon, Ch. 51, P. 1281.

وغير منطقي، فهل يعُقل أن يتلقى هاتان الفئتان هذا المبلغ من المال، في حين كان المشرف على المستشفى لا يتعدى أجره السنوي 11.75 نوميزماتا

- الأمر الثاني هو أن هناك فئة من العمال مثل: الخباز والسائس والطباخ والمسئول عن تسخين المياه والبواب قد تلقوا أجراً أعلى من الصيادلة ورئيسهم، فبينما تراوح متوسط أجر العامل ما بين 6 – 7.5 نوميزماتا، لم يتعدى أجر الصيادلة ورئيسهم ما بين 4.69 – 5.49 نوميزماتا سنوياً.

فالنسبة للأمر الأول: فإن المبلغ الكبير الذي خصص للقارئ ربما يدخل ضمنه الأكفان وكل النفقات الخاصة بالموتى، أما المبلغ الخاص بالنسوة اللائي عملن في غسل ملابس المرضى ربما يدخل ضمنه نفقات شراء الصابون المستخدم في الغسيل. أما الأمر الثاني والخاص بزيادة أجر العمال عن فئة الصيادلة، فربما لأن الصيادلة كانوا يعملون في الدير لمدة ستة أشهر بالتناوب، أما بقية الأشهر الأخرى فكانوا يعملون لمصالحهم الشخصية، وهو عكس البواب والخباز والسائس وعامل تسخين المياه الذي عملوا طوال العام بلا توقف، مما يعني أن أجرهم الحقيقي هو نصف المبلغ الذي تقاضوه بالصيادلة، والذي لا يزيد عن 3 – 4 نوميزماتا سنوياً.

شكل بياني مقارنة بين أجور العاملين بالمستشفيات خلال القرنين 12، 14م.

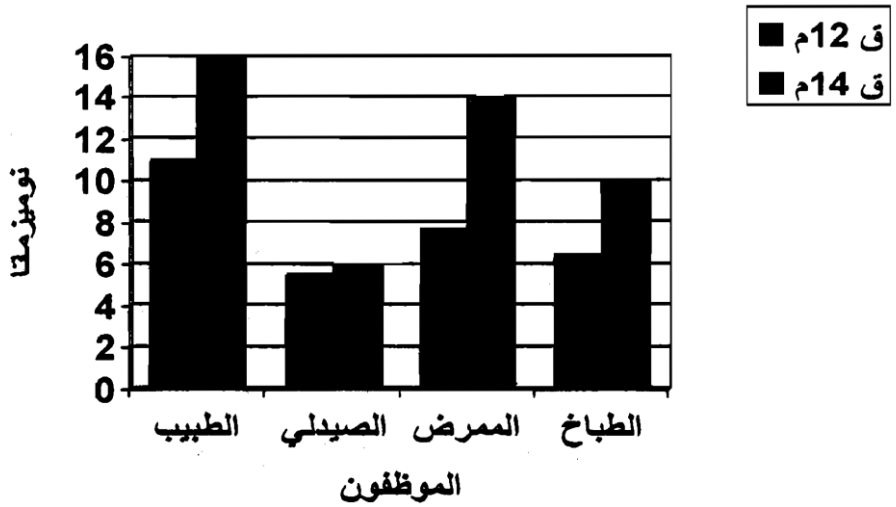

وبالمقارنة بين الجدول (2) و (3)، وبالنظر إلى الشكل البياني السابق فإننا نجد أن الترتيب الهراركي للعاملين بالمستشفيات لا زال كما هو، ولكن ثمة زيادة في أجر الفئات المختلفة خلال القرن الرابع عشر الميلادي عنه خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فمثلاً كان الطبيب يتقاضى في القرن الثاني عشر الميلادي حوالي 11.75 نوميزماتا، أصبح خلال القرن الرابع عشر الميلادي يتقاضى 16 نوميزماتا، ويفسر تيموثي ميلر ذلك بأن 16 نوميزماتا خلال القرن الرابع عشر الميلادي تساوي ما قيمته 10.6 نوميزماتا خلال القرن الثاني عشر الميلادي؛ لقوة العملة خلال القرون الباكرة، كما أن الطبيب في القرن الثاني عشر الميلادي كان يعمل لمدة ستة أشهر بالتناوب، مما يعني أن الأجر الذي يتقاضاه كان عن ستة أشهر، وليس عن عام كامل؛ مما يعطيه الفرصة للحصول على أجر إضافي خلال فترة الراحة والذي تمثل في الحصول على الخضر والفاكهة من المرضى[1].

(1) Miller, The Birth of the Hospital, P. 161.

الرعاية الصحية لكبار السن

لم يقف الأمر عند حد إنشاء المستشفيات العامة، بل تعداه إلى اهتمام البيزنطيين بنوع آخر من المستشفيات المتخصصة مثل دور رعاية كبار السن والعجزة والمقعدين، والتي أسسها في العادة أحد الأباطرة أو أحد الأشراف، ومنها ما كان ملحقاً بأحد الأديرة الذكورية أو النسائية[1]، وكان الإمبراطور باسيل الأول (867 – 886 م) قد أسس عدداً من بيوت رعاية كبار السن في القسطنطينية[2]، كذلك شيد الإمبراطور رومانوس الأول (919 – 945م) داراً للمسنين[3]، كما أمر بأن يُبنى من ماله الخاص بعد موته ملاجئ لكبار السن صدقة على روحه[4]، وكان الإمبراطور قسطنطين السابع (945 – 959م) قد أبدى اهتمامه الخاص بكبار السن حينما حول الإسطبلات التابعة لكنيسة الحكمة المقدس لتكون داراً لرعاية كبار السن، وأمر بتوفير الخبز والكساء سنوياً لنزلاء تلك الدار[5]. وفي الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي أنشا نقفوز إروتيقوس داراً لرعاية كبار السن، اشتملت على اثنا عشر نزيلاً، يخدمهم أربعة من الخدم[6]، وقام الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين (1081 – 1118م) بإنشار دور لرعاية كبار السن والعجزة والمقعدين في مدينة داماليس على الساحل الآسيوي لبحر مرمرة، وقد تألفت كل دار من طابقين، يقيم في الطابق العلوي الضعاف من الرجال والنساء، أما غيرهم ممن لا يستطيعون الحركة، فيقيمون في الطابق

(1) Lascaratos. J. & al., "Nursing Homes for the Old ('Gerocomeia') in Byzantium (324 – 1453 A.D.)", J. Gero, Vol. 50 (2004), P. 114

ويذكر ابن بطوطة قائلاً: " وفيها (القسطنطينية) ماستاران (ديران) عن يسار الداخل إلى الكنيسة العظمى (الحكمة المقدسة).. أحدهما يسكنه السميان والثاني يسكنه الشيوخ الذين لا يستطيعون الخدمة ممن بلغ الستين أو نحوها، ولكل واحد منهم كسوته ونفقته من أوقاف معينة. لذلك"، أنظر، ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ، 1966، ص291.

(2) Constantine Porphyrogenitus, Vita Basilii, in: Theophanes Continuatus, ed. I. Bekker, CSHB, Bonn, 1838, 5. Ch. 93, P. 339.
(3) Pantokrator Typikon, Ch. 63, P. 767.
(4) Theophanes Coninauatus, Chronographia, 9 Ch. 44, P. 430.
(5) Ibid., Ch. 19, P. 449.
(6) Mount Tmolos: Typikon of Nikephoros Erotikos for the Monastery of the Mother of God and the Old Age Home called Ta Derma on Mount Tmolos, trans. J. Thomas, BMFD, Vol. 1, No. 16, Ch. 2, P. 311.

السفلي، وأوقف الإمبراطور على تلك الدور أوقافاً كثيرة[1]. وقد أنشأ يوحنا الثاني كومنين (1118- 1143م) داراً لرعاية كبار السن ملحقة بدير بانتوكراتور بالقسطنطينية، أقام فيها أربعة وعشرون من كبار السن، وكلهم من المقعدين أو العرجان أو العجزة، أو من يعانون من أمراضٍ شتى، ولم يُسمح لرئيس الدير أو أي شخص آخر سوى القائمين على خدمتهم – وهم ستة ممرضين – بالدخول عليهم، ومن حاول اختراق هذا السياج كان شأنه وقعت عليه عقوبة كبيرة[2]، وفي عام 1152م، أنشأ إسحاق كومنين الابن السادس للإمبراطور ألكسيوس كومنين داراً لرعاية كبار السن والمقعدين ملحقة بدير كوزموسوتيرا[3].

وبالنسبة للطعام المقدم إلى المرضى من كبار السن، فقد خصص دير بانتوكراتور مخبزاً خاصاً لدار رعاية كبار السن، ملحق به طاحونة لطحن القمح والشعير[4]، وكان كل نزيل في تلك الدار يتلقى الخبز والنبيذ والبازلاء والجبن وزيت الزيتون، بالإضافة إلى (هبيربيرتين) [هبيربيرا = 3.8 جرام ذهب] لشراء الملابس. أما في الأعياد والاحتفالات فليتلقون الصدقات من الرهبان عند باب الدير، كما وزع الإمبراطور يوحنا الثاني عليهم الأعطيات أثناء احتفالاته الإمبراطورية[5] أما الممرضين فكانوا يتلقون سنوياً هبيربيرتين، وعشرين مديوس من القمح (256 كجم)، و 16 جرة من النبيذ، ولطعامهم 2 مديوس من البازلاء (25.4 كجم)، وخمسين رطلاً من الجبن (16.380 كجم)[6].

(1) Pantokrator Typikon, Ch. 58, P. 766
(2) Kosmosoteira Typikon, Ch. 96, P. 840.
(3) Pantokrator Typikon, Ch. 45, P. 760.
(4) Ibid., Ch. 59, P. 766
الهيبيربيرا كلمة تعنى التقنية جداً، وقد استخدمت كمقياس للعملة الذهبية التي تحتوي على 20.5 قيراط من الذهب في عهد الإمبراطور ألكسيوس الأول عام 1092م، ثم عاد وزنها مرة أخرى 24 قيراط، في القرن الرابع عشر الميلادي. أنظر،
Grierson, Ph., "Hyperpyron", OBD, Vol. 2, PP. 964 – 965.
(5) Pantokrator Typikon, Ch. 62, P.767.
(6) Lascartos, J. & Poulacou - Rebelacoub, E., "the roots of geriatric Medicine" Care of the Aged in Byzantine times (324 – 1453 A.D.)", JGero, Vol. 46 (2000), P.2.

وقد أهتم الأطباء البيزنطيون بمعالجة الأمراض والمشكلات الطبية التي واجهت المسنين والناتجة عن التقدم في العمر[1]، فإذا ما شعر أحد كبار السن بالإعياء فإن القس المشرف على الدار يقوم بإبلاغ مدير المستشفى، فتزوده المستشفى بفريق طبي، ويوكل إلى أحد الأطباء أو المساعدين له الاهتمام بالمريض حتى يُشفى من مرضه، ولكن يُحتجز المريض في المستشفى لتلقي العلاج الضروري إذا ما كان المرض خطيراً، ثم يعود إلى دار المسنين بعد أن يستعيد عافيته[2].

(1) Lascaratis, J. & Poulacou - Rebelacoub, E., "The Roots of geriatric Medicine: Care of the Aged in Byzantine Times (324 – 1453 A.D.)", JGero, Vol. 46 (2000), P. 2.

(2) Pantokrator Typikon, Ch. 60, P. 767.

نظراً لأن كبار السن كانوا يحتاجون إلى كتابة وصاياهم قبل موتهم، فقد خصص والي المدينة موثقاً في كل ملجأ من ملاجئ كبار السن للقيام بهذا العمل، انظر، كتاب والي المدينة، ترجمة د. السيد الباز العريني، حولية كلية آداب القاهرة، مج 19، ج1، 1957؛ وأيضاً منشور ضمن كتاب: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، بيروت، 1981، ك1، ف20، ص148.

الخاتمة

مما سبق تبين لنا أن وثائق الأديرة البيزنطية احتوت على الكثير من المعلومات القيمة عن الطب والصحة العامة في الدولة البيزنطية، مثل: أنوع المستشفيات وأقسامها، والأطباء والمساعدون والممرضون والوظائف الخدمية الأخرى، والأمراض المنتشرة آنذاك ووسائل العلاج، وأدوات الجراحة والأدوية والصيدلة، والتنظيمات المالية للمستشفيات، والرعاية الصحية لكبار السن، كما أشارت إلى بعض الوسائل الوقائية للحد من انتشار الأمراض بين المرضى والأطباء على السواء، من خلال النظافة وتخصيص بعض الأدوات الخاصة بكل فئة، إلا أن القارئ لتلك الوثائق يجد أن هناك نقصاً في بعض المعلومات الخاصة بالطب والصحة العامة، وربما مرجع ذلك إلى أن وثائق التيبيكا هي وثائق إدارية تنظيمية تعبر عن القواعد واللوائح المعبرة للأديرة البيزنطية، وعلى ذلك فهي ليست مصدراً طبياً أساسياً، ولكن لا يعني هذا غض الطرف عما بها من معلومات قيمة، قد لا نجدها في المصادر الأخرى، وعلى ذلك فعلى الباحثين في التاريخ البيزنطي بصفة عامة، وتاريخ الطب بصفة خاصة، أن يملئوا تلك الفراغات من المصادر الأخرى، ومن تلك الفجوات:

- أن المعلومات الواردة بوثائق التيبيكا والمتعلقة بالطب قبل القرن العاشر الميلادي كانت ضئيلة للغاية.
- نقلت الكثير من وثائق التيبيكا عن مثيلتها، خاصة وثائق أديرة إيفيرجيتيس وكيشاريتوميني وماماس، مما جعل المعلومات الواردة في كثير من الوثائق مكررة إلى حد التطابق.
- عدم الاستفاضة في الحديث عن مرضى الجُذام من حيث حجم المستشفيات الخاصة بهم، ونوعية الرعاية المقدمة لهم، ووجهة نظر المجتمع تجاههم، والإجراءات الوقائية للحد من هذا المرض.
- قلة المعلومات عن الأمراض المنتشرة آنذاك وكيفية علاجها، على الرغم من توفر بعض المعلومات الخاصة بالأدوات الجراحية.
- عدم التطرق بالحديث عن الأمراض النفسية والعقلية، وبالتالي المستشفيات الخاصة بها، أو الأطباء المعالجين لمثل تلك الأمراض.

- أهملت التيبيكا الحديث عن دور ومكانة الأطباء المساعدين وطلاب الطب تحت رعاية التدريب في قسم الطوارئ، والذي ربما يكون دورهم مشابهاً لدور إخوانهم في الأقسام الأخرى.
- أشارت التيبيكا إلى بعض المواد الأولية التي استخدمت في صناعة الدواء، ولكنها لما تشر إلى أنواع الأدوية، وأنواع الأمراض التي استخدمت تلك الأدوية في علاجها باستثناء المسهلات والكمادات والدهانات.